

تدهور المصادقية الأمريكية

يوم الانتخابات هو الأهم
في جولة بوش الأوروبية وقمة الثمانية

بون/نبيل شبيب

التعامل الدولي مع أحداث الأرض الفلسطينية بصورة أقل انحيازاً للباطل الإسرائيلي، ولكنه قابل بالصيغة التي صدر فيها للتسويق من جانب الرئيس الأمريكي في معركته الانتخابية، بما يتوافق مع رغبات اللوبي الصهيوني والتيار المسيحي-التوراتي، جنباً إلى جنب مع التأكيد للنقادين- وهم قلائل- أن واشنطن حصلت على تأييد القوى الدولية لسياستها في قضية فلسطين.

لعبة «السيادة» العراقية والأفغانية

إن توقيت الحديث عن اللجنة الرباعية وخرطة الطريق بما يخدم مجرى معركة الانتخابات الأمريكية، يتكرر في توقيت ما يوصف بنقل السلطة إلى العراقيين. وصحيح أن بوش لم يحصل خلال جولته الأوروبية أو في قمة الثمانية على سائر رغباته، لا سيما فيما يتعلق بتجنيد الأطلسي في وقت قريب، ولكن موقف القمة حول الأنظار الأمريكية جزئياً عن فضائح التعذيب التي تركزت آثارها على المصادقية الغربية عموماً وليس الأمريكية وحدها. وتزامن انعقاد القمة مع قرار مجلس الأمن الدولي الجديد بشأن العراق، ليوقر بدوره ورقة انتخابية دعائية محضة، فليس على أرض الأحداث الجارية في العراق أي مؤشر جاد على تطور إيجابي، لا بمقياس تحريره من العدوان العسكري وتحرير سيادته السياسية من الاحتلال، ولا بمقياس المنظور الأمريكي من حيث العجز عن مواجهة ازدياد ضربات المقاومة كما وتطورها نوعياً.

رغم ذلك يمكن- كما هو معروف عن الساحة الإعلامية والمهرجانات الانتخابية الأمريكية- تسويق نتائج القمة وقرار مجلس الأمن الدولي، وكأنهما يمثلان وقوف قوى دولية عارضت الحرب من قبل، إلى جانب واشنطن الآن، اقتناعاً بأن طريق «إحلال الديمقراطية عبر القذائف الصاروخية وغيرها» قد أثبت صحته بدليل الشكل المبكر لنقل السلطة دون سيادة، ولتوريث حكم انتقالي لحكم انتقالي آخر دون تبدل ما في تركيبته...!

ويسري شبيه ذلك على التعامل مع قضية

كل من أفغانستان والعراق. هذا بالذات ما نشر في أوروبا الاعتقاد بعدم جدية المواقف الأمريكية المعلنة، وبأن الجولة الأوروبية وقمة الثمانية معاً كانتا جزءاً من مهرجانات اللعبة الانتخابية الأمريكية فحسب، وهنا لا يخفى أن القسم الأعظم مما تم في قمة الثمانية كان منصباً على القضايا الساخنة في البلدان العربية والإسلامية، وبالتخطيط من خارج حدودها لما يراد أن يكون عليه مستقبلها. ولا قيمة بهذا الصدد لتركيز النظر في حصيلتها على زاوية المكاسب والخسائر بميزان شعبية الرئيس الأمريكي الانتخابية، بل يجب تقويم الحصيلة من حيث ما يمكن أن يترتب عليها من مكاسب وخسائر بميزان مصالح البلدان العربية والإسلامية.. والمقصود هنا مصالح البلدان بشعوبها وقضاياها المصرية، وبحكوماتها أيضاً، وليس مصالح استقرار الأنظمة أو عدم استقرارها، وهو ما غلب -على الأسف- على الحديث عن نتائج قمة الثمانية، وتعميم آراء تقول إن ضعف الموقف الأمريكي الدولي قد أضعف التهديدات المباشرة الموجهة إلى الأنظمة العربية بصددها أن تسير على طريق «إصلاح ديمقراطي»..!

لعبة «خارطة الطريق»

في الساعات الأخيرة من قمة الثمانية أعلن عن مطالبة المشاركين فيها بإعادة الحياة إلى ما يُسمى «خارطة الطريق» بعقد اجتماع جديد للجنة الرباعية الدولية، ورافق ذلك الترحيب المشترك بخطة شارون بعد أن أصبحت في الواقع اتفاقاً مصرياً - إسرائيلياً - فلسطينياً لحل عقدة «الأمن الإسرائيلي» بعد الرحيل الانهزامي عن غزة. العنصر الأهم في موقف الثمانية هو الإحجام عن إعلان معارضة واضحة للجزء الخاص بترسيخ احتلال الضفة في خطة شارون، ولا يعوض ذلك تكرار التمسك بقرارات دولية سابقة أو ما يسمى «خارطة الطريق» بعد أن أعطى تراجع بوش عن مضمونها «التهزيل أصلاً» دون تخليه عن عنوانها... أعطى مثلاً على ما تعنيه لعبة تعميم الكلام في المواقف السياسية. إن الموقف الصادر عن الثمانية ليس قابلاً لتحريك

كانت جولة الرئيس الأمريكي جورج بوش في بعض البلدان الأوروبية ثم استضافته خلال حزيران/يونيو ٢٠٠٤ لقمة الثمانية في ولاية جورجيا الأمريكية، حافلة بما بذله من جهود أشبه بتخطئ الفريق في اللحظة الأخيرة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ليس من مصادقية السياسة الأمريكية المتدهورة في عهده بصورة غير مسبوقة، وإنما لإنقاذ نفسه يوم الانتخابات الرئاسية من السقوط مع فريق عمله نتيجة ما اتبعه من سياسات عدوانية على المستوى الدولي.



الصورة المشوهة أوروبياً

قبل الجولة الأوروبية وأثناءها حاول بوش جاهداً أن يقارن بين الدور الأمريكي في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، والدور الأمريكي في عالم الصراع الدولي الدائر منذ نهاية الحرب الباردة، لا سيما في شكله الهجومي العسكري أمريكياً في المنطقة العربية والإسلامية، ولكن الرفض الأوروبي لهذه المقارنة تجلّى بوضوح في امتناع المضيفين الأوروبيين عن ذكرها في كلماتهم الرسمية، كما تجلّى شعبياً في المظاهرات الضخمة التي رافقت الجولة.

توظيف قمة الثمانية انتخابياً

عند متابعة الكلمات الرسمية أثناء الجولة الأوروبية والتصريحات الصحفية في مواكبة قمة الثمانية، بدأ الرئيس الأمريكي جورج بوش يتكلم منفرداً، لنشر وهم مزدوج..

- يتمثل وجهه الأول في محاولة إعطاء الانطباع للآخرين على المستوى الدولي بحدوث تحول جذري على صعيد سياساته الدولية، بمعنى عدم الانفراد بمواقف أو خطوات جديدة، وذلك لكسب تأييدهم لمواقف مشتركة..
- ويتمثل وجهه الثاني في محاولة إعطاء الانطباع للناخبين الأمريكيين، بأن الدول الحليفة والصديقة من القوى الدولية أصبحت تتحرك مع واشنطن مجدداً اقتناعاً منها بأن السياسات الأمريكية قد أوصلت إلى أهدافها المعلنة، لا سيما من حيث إقرار «التوجه الديمقراطي» عبر أسلوب القصف العسكري العدواني، في